جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم الشريعة الإسلامية

زيادات الإمام أبي داود السجستاني على الصحيحين

(٢٠٢- ٢٧٥هـ)

دراسة حديثية فقهية

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الباحث
حمزة بن فايع بن إبراهيم الفتحي

إشراف
أ. د/عبد المجيد محمود عبد المجيد

أستاذالشريعة الاسلامية بكلية دار العلوم

القاهرة

١٤٣٣هـ/٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الدراسة

مقدمة الدراسة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا.

أما بعد

فإن العيش في أفنان السنة النبوية المطهرة وظلالها، منتهى السعادة الروحية التي ينشدها كل مسلم. وقد امتنَّ الله ﷻ عليَّ من أول الطلب بالاهتمام بالسنة، لا سيما الكتب الستة، فجمعتُ مكتبة حديثية كبيرة، قرأتُ منها ما لذَّ وطاب، واستطعمتُ عصير المنبع الرقراق، وعايشتُ جمهرة المحدثين الأفذاذ، وعاينتُ جِدَّهم وبلاءهم، وشاهدتُ صبرهم، ومحاسن أخلاقهم.

ورأيتُ اهتمام المسلمين بالسنة النبوية وتعدد طرقهم في حفظ السنة وتدوينها والتصنيف فيها. وطرق التصنيف في الحديث تختلف من مصنِّف لآخر، فإن علم الحديث تطور تطورًا ملحوظًا من جيل إلى جيل إلى يومنا هذا.

ولقد أخذت كتبُ الحديث أشكالًا مختلفة؛ مما يدل على سعة هذه المادة واتساع بحرها، ويدل أيضًا على وجود كوكبة ونخبة من العلماء الذين اصطفاهم الله لحمل مشاعل الدين وحفظه غضًّا طريًّا وذب كل دخيل عنه.

ومن هؤلاء العلماء من جمع الأحاديث على صورة مسانيد للصحابة، ووضعوا أحاديث كل صحابي على حدة في مكان واحد، كما فعل الإمام أحمد في مسنده.

ومنهم من وضع الحديث في المكان الذي هو دليل عليه، فيضعون كل حديث في الباب الخاص به، فإن كان في معنى الصلاة ذكروه في باب الصلاة، وإن كان في معنى الزكاة ذكروه في باب الزكاة، كما فعل الإمام مالك بن أنس في الموطأ والشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما وأصحاب السنن في كتبهم.

ومنهم من استخرج أحاديث تتضمن ألفاظًا لغوية ومعانيَ مشكلة، فوضع لها كتابًا على حدة ولم يتعرض لذكر الأحكام، كما فعل أبو عبيد القاسم بن سلام، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة.

ومنهم من جمع الأحاديث في باب واحد من أبواب الفقه أو الزهد أو العقيدة أو السيرة أو الفضائل وغيرها في كتاب مستقل.

ومنهم من جمع أحاديث شيوخه ورتبهم على حروف المعجم... إلى غير ذلك من الطرق المختلفة التي اتخذتها المصنفات في الحديث.

ومن طرق التأليف المهمة في السنة النبوية: «**جمع الزوائد الحديثية**». ومن يتتبع من صنف في إخراج الزوائد، يعلم أن أول هؤلاء هو: الحافظ أبو بكر النيسابوري (ت٣٥٤هـ)، ثم يليه الإمام الحافظ مُغُلْطَاي، ثم الحافظ ابن كثير، ثم الهيثمي، ثم تلاهم الحافظ البوصيري، ثم ابن حجر، ثم ابن قُطْلُوبُغا الحنفي، ثم السيوطي رحم الله الجميع.

ثم انقطع التصنيف بعدهم في هذا الفن، حتى استأنفه في عصرنا غيرُ واحد.

ومن أوائل من كتب في هذا العلم وقواعده: **د/خلدون الأحدب** في كتابه «**علم زوائد الحديث**»[1].

ويمكن تعريف علم الزوائد بأنه:

«**علم يتناول إفراد الأحاديث الزائدة في مصنف رُويت فيه الأحاديث بأسانيد مؤلفه، على أحاديث كتاب معين، من حديث بتمامه لا يوجد في الكتب المزيد عليها، أو هو فيها من صحابي آخر، أو من حديث شارك فيه أصحاب الكتب المزيد عليها أو بعضهم، وفيه زيادة عنده**».

---

(١) طبع دار القلم، دمشق.

وعلم الزوائد إنما يقوم في أساسه على تنوع طرق الأحاديث ومخارجها، وما تؤدي إليه من زيادات المتون أو بعضها، فضلًا عن عظيم الأثر لذلك من ناحية الصناعة الحديثية، من كشف لعلل المتون والأسانيد، ووقوف على متابعات وشواهد يتغير معها الحكم على الأحاديث قبولًا وردًّا.

ويمكن أن نحصر فوائد علم الزوائد في قسمين:

القسم الأول: فوائد في الإسناد؛ وهي:

١- معرفة الحديث الموقوف، إن جاء مرفوعًا في الكتب المزاد منها.

٢- معرفة الموصول إن جاء مرسلًا أيضًا.

٣- معرفة ما جاء من المقطوعات والبلاغات موصولًا في الكتب المزاد منها، على الكتب المزاد عليها.

٤- معرفة الصحابة رواة الحديث الواحد.

القسم الثاني: فوائد في المتن:

١- معرفة المتون الزائدة التي لم يكن لها ذكر البتة في الكتب المزاد عليها.

٢- معرفة الألفاظ الزائدة على المتون في الكتب المزاد عليها.

٣- معرفة غوامض الأسماء والأعداد المبهمة الواردة في الكتب المزاد عليها.

٤- معرفة مناطات الأحكام والوقائع التي من أجلها ورد الحديث.

٥- معرفة الحكم على الألفاظ المختلفة، وما يستنبط منها من أحكام.

٦- بيان ما وقع للرواة من الشك في بعض الألفاظ، أو رواة الأحاديث من الصحابة.

٧- بيان النقص الوارد في بعض الروايات التي تُخِلُّ بالمعنى.

٨- بيان الاختلاف الوارد في المتون من جهة تخصيص العام، وتعميم الخاص، ونحو ذلك.
٩- الحكم على الأحاديث ومعرفة درجاتها وعللها.
١٠- ذكر الشواهد والمتابعات للحديث استطرادًا في معرفة الحكم.
وقد كثُرت كتب الزوائد المستخرجة في عصرنا الحديث. ومن أهم الكتب الحديثية التي لم يذكر زوائدها «**سنن أبي داود**» أحد عُمُد الفقهاء في السنة النبوية.
فقد كان الإمام أبو داود الأزدي السجستاني T من مشاهير المحدثين، وكان كتابه «السنن» قد طبقت شهرته الآفاق، وبات كتابه سمير العالم المفهام، ودليل الفقيه الهمام. وقد قرأتُه من أوائل ما قرأتُ من الكتب، وطالعت شروحه كـ«معالم السنن» للخطابي، و«التهذيب» لابن القيم، و«عون المعبود» لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، و«بذل المجهود» للسهانفوري وغيرها، ولا أزال أراجعه في كثير من المسائل الفقهية؛ لأنه «**أم الأحكام**» كما يقول الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير»، ولا يزال أفذاذ الأئمة يُوصون بهذا الكتاب للمفتي والمجتهد والقاضي.
قال المنذري في مقدمة «تهذيبه»: «إنه صار حكمًا بين أهل الإسلام، وفصلًا في موارد النزاع والخصام، فإليه يتحاكم المصنفون، وبحكمه يرضى المحققون، فإنه جمع شمل أحاديث الأحكام، ورتبها أحسن ترتيب ونظمها أحسن نظام»(١).
وقال ابن الأعرابي: «لو أن رجلًا لم يكن عنده من العلم إلا المصحف ثم كتاب أبي داود، لم يحتجْ معهما إلى شيء من العلم»(٢).
وقد أحسن T مؤلفه ترتيبَه وتنظيمه، حتى جعله سهلًا داني القطوف، قريب المعروف، لا تشعر بصعوبة وتعقيد في قراءته والاستفادة منه، ولهذا قال أبو زكريا النوويT في القطعة التي شرحها من أبي داود: «إن معظم أحاديث الأحكام التي يُحتجُّ بها فيه، مع سهولة تناوله، وتلخيص أحاديثه، وبراعة مصنفه، واعتنائه بتهذيبه»(٣).
ولما كان هذا الكتاب بهذه المكانة، والولوج إليه محل الرفعة والشرف والصيانة، تقدمتُ بهذا الموضوع، بعد استشارة وتوجيه مشايخي الكرام في كلية دار العلوم العريقة، فسنح هذا العنوان:
«زيادات الإمام أبي داود السجستاني على الصحيحين: من أول كتاب الطهارة إلى نهاية كتاب الصلاة»
حيث لم أطلع على دراسة علمية تتناول ذلك، فبادرتُ إليه مدركًا أهميته، وعظيم فضله وفائدته، لاسيما والرحلة في مصنف عظيم بهيج، اتفق الناس على شرافته وغزارة علومه وفوائده.

أسباب اختيار الموضوع:

كان من الأسباب الداعية إلى تناول هذا الموضوع وحفزتني إلى ذلك ما يلي:
١- مكانة سنن أبي داود الحديثية والفقهية، وكونها مرجعية أحكامية لأكثر مسائل الفقه الإسلامي، مما يعني رجوع العالم والفقيه والقاضي والمجتهد إليها على الدوام.
٢- نزوع الفقهاء المجتهدين إلى سنن أبي داود، واعتمادها كوعاء علمي يشكل عقل الفقيه، والعالم المستبصر.
٣- وفرة الزوائد الحديثية التي أضافها الإمام أبو داود على الصحيحين، وكان لها الأثر الفقهي الكبير في الأحكام، وبيان اختلاف الفقهاء وترجيحاتهم.
٤- تمييز صحاح الزوائد عن ضعافها، وبيان تعامل المحدثين والفقهاء، ومدى استدلالهم بها في مذاهبهم الفقهية.
٥- تجديد الاهتمام بعلم زوائد الحديث، والتأكيد على أثرها العلمي في المسائل الشرعية.

أهمية موضوع الدراسة:

تشكل دراسات كتب الزوائد بصفة عامة أهمية كبيرة لدى المتخصصين في الدراسات؛ لما لكتب الزوائد من أهمية أشرتُ إليها، بالإضافة إلى أن دراسة ديوان

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ص ٤.
(٢) شرح سنن أبي داود لبدر الدين العينى ٢٨/١.
(٣) المصدر السابق، ٢٨/١.

عظيم من دواوين السنة النبوية -كسنن أبي داود- واستخراج زوائده يعد أمرًا مهمًّا جدًّا، خاصة عندما نعلم أنه تمت دراسة زوائد سنن الترمذي، وكذا سنن ابن ماجه والنسائي، ولم أطلع على دراسة أكاديمية لزوائد أبي داود. وعلى ذلك استعنتُ بالله وأقدمتُ على هذه الدراسة.

تاريخ دراسة الموضوع والدراسات السابقة:

كتب الزوائد قديمة جدًّا، ولعل من أشهر الدراسات حول زوائد السنن كانت «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه» للبوصيري (ت٨٤٠هـ)، وظهر في العصر الحديث دراسات أخرى حول زوائد السنن، إلا أن زوائد سنن أبي داود على الصحيحين لم تلقَ عناية خاصة، فعزمتُ على القيام بهذا الواجب العلمي العظيم.

هذا وقد وقفت على دراستين تعرضتا لزوائد سنن أبي داود؛ وهما:

١- إنجاز الوعود بزوائد أبي داود على الكتب الخمسة لأبي عبد الله سيد بن كسروي بن حسن[١]:

وهو عبارة عن تجميع لزوائد سنن أبي داود، لكنه على الكتب الخمسة الأخرى. وهو سرد فقط لهذه الزوائد، دون دراسة أو تحليل لها، أو حتى النص على وجه الزيادة، إلا أنها قامت بذكر درجة كل حديث من حيث الصحة والضعف. وتقع هذه الدراسة في مجلدين.

٢- زوائد السنن على الصحيحين لصالح أحمد الشامي[٢]:

وهو عبارة عن تجميع فقط أيضًا لزوائد السنن الأربعة والدارمي على صحيحي البخاري ومسلم، وقد اهتم كذلك بذكر درجة كل حديث من حيث الصحة والضعف، كما قام بتعريف بعض الغريب الوارد في أحاديث الزوائد. وتقع هذه الدراسة في سبعة مجلدات: ستة للزوائد والسابع للفهارس. **وهو يقسم السنن إلى ثلاثة أنواع:**

الأول: أحاديث وردت بنصها في الصحيحين أو أحدهما: وهذه يشير إليها، فإن كان ثمة زيادة أو نقص أو اختلاف عما في الصحيحين، فإنه يشير إلى ذلك في السنن. وما لم يدخل في مسماه هو «**الزوائد**». وجعله نوعين.

الثاني: أحاديث لم ترد في الصحيحين أو أحدهما، وهي تحمل موضوعات مشابهة لها في كتابه «**الجامع بين الصحيحين**»: فهذه يذكرها جنبا لها.

الثالث: أحاديث لم ترد في الصحيحين وتحمل موضوعات جديدة: فهذه يعنون لها ويضمها إلى الكتاب الذي تنتمي إليها.

ويتضح الكلام بالمثال:

قال في كتاب الطهارة: باب صفة الوضوء (١٠٤/٢) في تخريج حديث حُمْران بن أبان:

[٦٢٩-ق] حُمْران بن أبان [د١٠٦/ت٨٤، ٨٥، ١١٦، مي٦٩٣].

أخرجه ابن ماجه مختصرًا: «**من توضأ مثل وضوئي هذا، غفر له ما تقدم من ذنبه**»، وقالﷺ: «**لا تغتروا**». ولأبي داود: لم يذكر المضمضة والاستنشاق، وقال: ومسح رأسه ثلاثًا، ثم قال ﷺ: «**من توضأ دون هذا، كفاه**».

فزيادة أبي داود هذه الأخيرة لا يعتبرها من الزوائد على المنهج السابق؛ ولذلك لا تعد عنه حسب تقسيمه، وأنه يعتبر الزوائد أحاديث مستقلة بنفسها.

وهذا المنهج عليه مآخذ:

١- أن اختلاف ألفاظ السنن عما في الصحيحين لا يعتبرها من الزوائد، مع أنها زيادة متنية صريحة بإجماع المحدثين.

٢- لم يعتبر اختلاف الصحابي -فيما لو تشابه الحديثان- نوعا من الزيادة، مع أن عمل المحدثين على ذلك.

- -

(١) إنجاز الوعود بزوائد أبي داود على الكتب الخمسة، جمعه ورتبه: أبو عبد الله سيد بن كسروي بن حسن، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٢) زوائد السنن على الصحيحين، جمع وترتيب: صالح أحمد الشامي، دار القلم/دمشق، دار النفائس/الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

منهجي في جمع الزوائد:

تم الرجوع إلى سنن أبي داود، واستقراؤها ومقارنتها بالصحيحين، وتأمل ما زاده أبو داود على الشيخين من أحاديث تفرد بها، أو زادها على أحاديث الصحيحين، معتمدًا على رواية اللؤلؤي رحمه الله، وهي المعتمدة في طبعة أ/عزت الدعَّاس.

وقد تبين لي كثرة الزوائد التي زادها الإمام أبو داود على الصحيحين، وأنها تربو على ألفي حديث (٢٠٠٠)؛ مما يعني عدم الإحاطة بها وإنجازها في بحث علمي على حد قول القائل:

فأصبحت من ليلى الغداةَ كقابضٍ على الماءِ خانته فروج الأصابع

إلا أنني اقتصرت على أول (٨٥٤) حديث منها، وتحديدًا إلى آخر كتاب الصلاة عند الحديث رقم (١٥٥٥).

ويمكن تحديد منهجي في استخراج زوائد أبي داود على الصحيحين في النقاط التالية:

١- جمع الأحاديث التي زادها أبو داود على الصحيحين من حيث التخريج، ولم يرد لها ذكر فيهما.

٢- جمع الأحاديث التي رواها الشيخان ورواها أبو داود أيضًا لكن من طريق صحابي آخر، حتى وإن كان نص أبي داود نفس نص الصحيحين.

٣- إذا كان حديث أبي داود فيه زيادة على ما في الصحيحين أفادت حكمًا جديدًا أو معنى معينًا لم يرد في الصحيحين فإني أذكره، وتكون حينئذٍ هي زيادة في المتن، فالزيادات المعتنى بها هنا على ثلاثة أنواع:

أ) زيادة في السند والمتن، وهي إذا ما كان الحديث مستقلًّا متنًا وسندًا في غالب أحواله.

ب) زيادة في الإسناد؛ بمعنى: أن يكون الحديث في الصحيحين أو أحدهما، ولكن أخرجه أبو داود من طريق آخر، والمعتبر هنا اختلاف الصحابي، فإذا ما اختلف الصحابي، عُدَّ ذلك زيادة، وإلا فلا.

ج) زيادة في المتن؛ بمعنى: أن أصل الحديث في الصحيحين ولكن زاد أبو داود شيئًا، نحو قصة أو كلمة أو سبب حول الحديث.

منهجي في دراسة الزوائد:

وضعتُ منهجًا لدراسة زوائد سنن أبي داود على الصحيحين، ويمكن بلورة هذا المنهج في التالي:

١- تخريج الحديث حسب بقية الكتب الستة إضافة إلى مسند أحمد، مع ذكر طرقهم في إيراد الحديث بشكل مختصر.

٢- بيان وجه الزيادة في الحديث سواء كانت زيادة في المتن أو الإسناد، وإن كان الحديث غير موجود أصلًا في الصحيحين، اكتفيتُ فيه بقولي: «**الحديث زائد متنًا**» مع بيان حال رجاله.

٣- اقتصرتُ في هذه الدراسة على الأحاديث النبوية فقط، دون التعرُّض لأقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

٤- ما تفرد به أبو داود مطلقًا، أنص عليه مبرهنا بتخريجه من كتاب «تحفة الأشراف» للحافظ أبي الحجاج المزي (ت٧٤٢هـ).

٥- دراسة رجال سند أبي داود رجلًا رجلًا، من خلال أقوال أئمة الجرح والتعديل، وقد بينتُ في كل راوٍ اسمه كاملًا وتاريخ وفاته، مع اعتماد قول الذهبي وابن حجر تعديلًا وتجريحًا. وإذا تكرر ذكر الراوي، فإنني أكتفي بذكر درجته، مع الإشارة إلى رقم الحديث الذي وردت فيه ترجمته كاملة. إلا أنني لا أذكر شيئًا إذا تكرر ذكر الرواة لا سيما المشاهير الأعلام، كالحمادين والسفيانين.

٦- بيان درجة الحديث من حيث الصحة والضعف من خلال أحكام الأئمة المتقدمين في هذا الشأن، مع التركيز على أن يكون الحكم مطابقًا لحالة سند أبي داود. وإن كان سند أبي داود ضعيفًا، وورد الحديث من طريق آخر موصولًا صحيحًا فإني أذكر ذلك وأنبه عليه بعد دراسة سنده.

٧- بيان الفقه المستفاد من الحديث، مع بيان موقف المذاهب الأربعة من هذا الحكم الفقهي المستفاد باختصار قدر الإمكان.

منهج الدراسة:

ستتبع الدراسة في هذا الموضوع المنهج الاستقرائي من خلال الرجوع إلى سنن أبي داود لاستخراج زوائده على الصحيحين، مقارنًا ذلك بالمنهج التحليلي الاستنباطي؛ حيث سيتم الوقوف على النصوص وبيان ما فيها من فقهٍ.

كما سيتم أيضًا:

١- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها، وبيان درجتها من الصحة أو الضعف بحسب كلام العلماء.

٢- الرجوع إلى كتب فقهاء المذاهب الأربعة والكتب الفقهية الأخرى في عرض فقه الحديث بشكل مختصر.

٣- الرجوع إلى كتب شروح الأحاديث ذات الصلة بالموضوع.

٤- شرح الألفاظ الغريبة والمصطلحات العلمية الواردة في البحث.

٥- الرجوع إلى كتب شروح سنن أبي داود والاستفادة منها في تعيين الزيادات.

الخطة المتبعة لدراسة الموضوع:

تتكون هذه الدراسة من:

- مقدمة.
- وتمهيد.
- وذكر الزوائد.
- وخاتمة.

وذلك على التفصيل الآتي:

المقدمة

تتناول: التعريف بالموضوع، وأهميته، وأسباب اختياره، وشرح خطته.

التمهيد

التعريف بالإمام أبي داود وكتابه السنن

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: نبذة عن ظروف العصر الذي نشأ فيه أبو داود وحالته علميا وسياسيا.

المبحث الثاني: حياة الإمام أبي داود.

المبحث الثالث: التعريف بسنن أبي داود وقيمته وأهميته.

المبحث الرابع: منهج أبي داود في سننه.

المبحث الخامس: التعريف بعلم الزوائد.

ذكر زوائد سنن أبي داود على الصحيحين

- كتاب الطهارة.
- كتاب الصلاة.

مرتبة حسب ترتيب كتابه كما يلي:

١- من أول كتاب الطهارة إلى نهاية كتاب الصلاة، وتحديدًا عند الحديث رقم (١٥٥٥).

٢- أذكر ما أضافه أبو داود من سنن وأحكام، وما تفرد به، وما زاده من أحاديث أخرجها الشيخان.

٣- تُخرَّج الزوائد تخريجًا علميًّا، حسب الكتب الستة إضافة إلى مسند أحمد، ويُدرس سند أبي داود من خلال كتب الرجال المشهورة، مع بيان الراجح، وتبيين درجة الحديث باعتبار السند المدروس، ثم درجته العامة باعتبار الطرق الأخرى.

الخاتمة: وفيها أذكر أهم النتائج العلمية التي أظهرتها الدراسة، ثم أختم بالفهارس التفصيلية لكل موضوعات الدراسة.

وأخيرًا فإنني أشكر الله ﷻ على ما منَّ به من الإتمام والإنجاز، ثم إنني أتقدم بالشكر إلى جامعة القاهرة، ممثلة في كلية دار العلوم العريقة، التي فتحت لنا منائر العلم، وشعت بيارق المعرفة، وعشنا في رياض علمائها وأساتذتها الأكفاء، وعلى رأسهم أستاذنا الجليل وأستاذ الأساتذة وشيخ المحدثين **الأستاذ الدكتور/عبد المجيد محمود عبد المجيد** المشرف على هذا البحث، الذي فتح لي صدره ومكتبه، وعلمني من عميق علمه ولطيف أدبه؛ ما يجعلني أعجز عن شكره وإثابته، لكنني أسأل الله أن يجزيه خير الجزاء، وأن يديم عليه موفور الصحة والعافية، وأشكر كل من نصح وسدد من الأساتذة والإخوة الزملاء وأصحاب المكتبات، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

التمهيد

التعريف بالإمام أبي داود وكتابه السنن وعلم الزوائد

المبحث الأول

نبذة عن ظروف العصر الذي نشأ فيه أبو داود وحالته علميا وسياسيا

ولد الإمام أبو داود في مطلع القرن الثالث الهجري وتوفي في أواخره، والقرن الثالث هو العصر العلمي الذهبي في تاريخنا كله، وقد أتيح للمؤلف T أن يشهد نضج الحضارة الإسلامية في هذا القرن، كما أتيح له أن يعيش هذا العصر الذي ازدحم بالعبقريات والموهوبين الأفذاذ في شتى شئون الفكر.

ويعتبر القرن الثالث الهجري عصر السنة الذهبي الذي دُوِّنت فيه السنة وعلومها تدوينًا كاملًا، ففيه دونت الكتب الستة التي اعتمدتها الأمة فيما بعد، وفيه ظهر أئمة الحديث وجهابذتُه، وفيه نشطت رحلة العلماء في طلب الحديث، ولذلك جعل كثير من أهل العلم هذا القرن الحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من نقاد الحديث. وقد تميز التدوين في هذا القرن بما يلي:

١- تجريد أحاديث رسول الله ﷺ وتمييزها عن غيرها بعد أن كانت قد دونت في القرن الثاني ممزوجة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

٢- الاعتناء ببيان درجة الحديث من حيث الصحة والضعف.

٣- تنوع المصنفات في تدوين السنة، فبدأ علماء هذا العصر ينهجون في مصنفاتهم مناهج جديدة وطرقًا مختلفة. ومن أشهر طرق التصنيف في هذا العصر تصنيف: المسانيد.

٤- وفي هذا العصر أيضا أصبح لكل نوع من أنواع الحديث علمًا خاصًّا، مثل: علم الحديث الصحيح، وعلم المرسل، وعلم الأسماء والكنى وهكذا. وأفرد العلماء كل نوع منها بتأليف خاص.

ويكفينا في الدلالة على ذلك أن نذكر من أعلام هذا القرن الأسماء الآتية:

ففي الحديث: كان البخاري (ت٢٥٦هـ)، ومسلم (ت٢٦١هـ)، ويحيى بن معين (ت٢٣٣هـ)، وأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، والترمذي (ت٢٧٩هـ)، والنسائي (ت٣٠٣).

وفي الفقه: كان الربيع (ت٢٧٠هـ)، والمزني (ت٢٦٤هـ) -صاحبا الشافعي (ت٢٠٤هـ)- وداود الظاهري (ت٢٧٠هـ)، وغيرهم.

وفي الشعر: كان علي بن الجهم (ت٢٤٩هـ)، وابن الرومي (ت٢٨٣هـ)، والبحتري (ت٢٨٤هـ)، وابن المعتز (ت٢٩٦هـ).

وفي العلم بالأدب: كان المبرد (ت٢٨٦هـ)، وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، والجاحظ (ت٢٥٥هـ)، وثعلب (ت٢٩١هـ)، والفراء (ت٢٠٧هـ)، وغيرهم كثير.

ولد أبو داود سنة ٢٠٢هـ في ظل الخليفة العباسي العالم المأمون (ت٢١٨هـ).

وبعد المأمون، جاء للخلافة المعتصم (ت٢٢٧هـ)، ثم الواثق (ت٢٣٢هـ)، ثم المتوكل (ت٢٤٧هـ)، ثم المنتصر (ت٢٤٨هـ)، ثم المستعين (ت٢٥٢هـ)، ثم المعتز (ت٢٥٥هـ)، ثم المهتدي (ت٢٥٦هـ)، ثم المعتمد على الله، وهذا الأخير حَجَر عليه أخوه الموفَّق (ت٢٧٨هـ) واستبدَّ بالأمر دونه، ولم يصبح خليفة.

ومن المعروف أن اضطراب شئون الدولة العباسية قد بدأ بمقتل المتوكل سنة ٢٤٧هـ، فلقد أراد أن يكفكف من غلواء العسكريين الأتراك الذين بدأ تسلطهم أيام المعتصم فلم يفلح، وإن عصرًا هذا وزنه لا نستطيع أن نلم بجميع الجوانب فيه بكلمة مستعجلة.

ويكفينا أن نذكر بشأنه الأمور المقررة الآتية:

١- التناحر بين أفراد الأسرة الحاكمة كان على أشده.

٢- سيطرة العناصر الأعجمية عمومًا والتركية خصوصًا كان أمرًا واضحًا.

٣- الثورات في أطراف الدولة الإسلامية.

٤- الثورة في قلب الدولة وفي العراق بصورة خاصة.

٥- الصراع النصراني-الإسلامي في الحدود الشمالية الغربية.

٦- تسلط رجال الفرق الضالة على بعض الخلفاء وممارسة لون من الاستبداد الفكري ومقاومة العلماء وسجنهم.

٧- قيام نزعات فكرية متعددة، وبعضها هدام خطير.

ولولا أن الحياة الاجتماعية كانت تسير بوجه عام على سنن الإسلام العظيم وأن الحياة الفكرية والعلمية كانت تقوم بمهمتها في الهداية والإرشاد وإقامة الحجة على أحقية الإسلام، لكانت الحياة السياسية تلقي لونًا قاتمًا بعض الشيء على هذا العصر.

المبحث الثاني

حياة الإمام أبي داود

اسمه ونسبه:

هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران[١] الأزدي السجستاني، وعمران هذا ذكر ابن عساكر[٢] وابن حجر[٣] أنه قتل مع علي بن أبي طالب بصفين[٤].

وأبو داود عربي صميم من الأزد، والأزد قبيلة معروفة في اليمن، والسجستاني نسبة إلى بلد سجستان، وهي بكسر السين وفتحها، والكسر أشهر، والجيم مكسورة فيهما[٥]، ولم يذكر ياقوت[٦] في «معجم البلدان» إلا كسر السين[٧].

وذكر الأستاذ محب الدين الخطيبT[٨] في مقدمته لكتاب «موارد الظمآن» أن سجستان هي بلاد الأفغان الآن[٩]، وهي في الحقيقة القسم الجنوبي من بلاد الأفغان.

نشأته:

ولد أبو داود سنة ٢٠٢هـ وتلقى العلم على علماء بلده، ثم ارتحل وطوَّف بالبلاد في طلب العلم وتحصيل الرواية، فزار العراق والجزيرة والشام ومصر وكتب عن علماء هذه البلاد جميعًا؛ قال الخطيب: «وكتب عن العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزريين»[١٠].

وليس من شك في أن هذه الرحلات قد وسعت من أفقه وأطلعته على ألوان الثقافة في عصره في كل أنحاء العالم الإسلامي.

والبلاد التي زارها كثيرة، أذكر منها: سجستان، وخراسان، والري، وهراة، والكوفة، وبغداد، وطرسوس، ودمشق، ومصر، والبصرة[١١].

علمه:

كان أبو داود أحد حفَّاظ الإسلام، وكان من أوسع العلماء معرفة بحديث رسول الله ﷺ وفقهه وعلله ومتونه ورجاله، ويبدو أن علماء عصره كانوا يعرفون مكانته العلمية الكبرى ويقدرونه حق قدره؛ يدل على ذلك عدد من الأخبار منها: ما ذكروا من أن أحمد

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) هذا هو الصواب في نسبه، وهكذا ورد في معظم الكتب التي ترجمته غير أن بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ١٨٥/٣ قال: سليمان بن الجارود بن الأشعث. وهو غلط.

(٢) علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين بن عساكر الدمشقي، المؤرخ الحافظ الرحالة. مولده ووفاته في دمشق. ولد سنة ٤٩٩هـ، وتوفي سنة ٥٧١هـ. **ينظر:** وفيات الأعيان لابن خَلِّكان ٣٣٥/١.

(٣) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر الشافعي. ولد بالقاهرة سنة ٧٧٣هـ، وبها توفي سنة ٨٥٢هـ. **ينظر:** الضوء اللامع للسخاوي ٣٦/١.

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر للأستاذ عبد القادر بدران ٢٤٤/٦، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١٦٩/٤.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات للنووي، القسم الأول ٢٢٤/٢.

(٦) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين، المؤرخ الجغرافي الأديب. أصله من الروم. ولد سنة ٥٧٤هـ. أسر من بلاده صغيرًا. توفي سنة ٦٢٦هـ. **ينظر:** مرآة الجنان لليافعي ٥٩/٤-٦٣.

(٧) معجم البلدان لياقوت ١٩٠/٣.

(٨) محب الدين بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صالح الخطيب، يتصل نسبه بعبد القادر الجيلاني الحسني. ولد في دمشق سنة ١٨٨٦م. تولى تحرير مجلة «الأزهر»، وأنشأ المطبعة السلفية ومكتبتها. **ينظر:** الأعلام للزركلي ٢٨١/٥.

(٩) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي ١٩١/٣، ١٩٢.

(١٠) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥٥/٩.

(١١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥٥/٩، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢٢٤/٢.

بن حنبل روى عنه حديثًا، وكان أبو داود شديد الاعتزاز به؛ لأنها من قبيل رواية الأكابر عن الأصاغر[1].

وكان علمه متعدد الجوانب، فهو -مع تخصصه في الحديث- فقيه عظيم، وقد عدَّه ابن أبي يعلى[2] في «طبقات الحنابلة» والعليمي[3] في «المنهج الأحمد»[4] من جملة أصحاب أصحاب أحمد بن حنبل.

وأبو داود ناقد كبير، وليس هذا غريبًا على إمام من أئمة الحديث؛ لأن هذا العلم يربي في أتباعه حاسة النقد، وقد استطاع أن يبلغ مستوى راقيًا من رهافة الحس ودقة النقد.

ثناء العلماء عليه:

كان الثناء عليه من قبل المعاصرين له والذين جاؤوا من بعده مُنصبًّا على ناحيتين: سعة علمه ودقة تحقيقه، وكرم أخلاقه وتقواه؛ فلقد كان T مثلًا عاليًا في صفتي المحدث القوي وهما العدالة والضبط. وسأورد شذرات من أقوالهم:

١- قال أبو بكر الخلال[5]: «أبو داود سليمان بن الأشعث، الإمام المقدَّم في زمانه رجلٌ لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم، وبصره بمواضعها أحدٌ في زمانه، رجل ورع مقدَّم»[6].

٢- وقال إبراهيم الحربي[7]: «أُلِيْنَ لأبي داود الحديث كما أُلِيْنَ لداود النبي عليه السلام الحديد»[8]. وما أحسن ما أنشده الحافظ أبو طاهر السِّلَفي T:

لان الحديث وعلمه بكماله ... لإمام اهليه ابي داودِ
مثل الذي لان الحديد وسبكه ... لنبي أهل زمانه داودِ

٣- وقال أبو حاتم بن حِبَّان[9]: «كان أحد أئمة الدنيا فقهًا وعلمًا وحفظًا ونسكًا وورعًا وإتقانًا، جمع وصنف وذبّ عن السنن»[10].

٤- وقال أبو عبد الله بن مَنْدَهْ[11]: «الذين أخرجوا وميزوا الثابت من المعلول والخطأ من الصواب أربعة: البخاري ومسلم، وبعدهما: أبو داود والنسائي»[12].

٥- وقال الحاكم[1]: «أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة»[2].

---

(١) مختصر المنذري ٧/١، ٨، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٤٠٤/٧، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١٧٢/٤.

(٢) محمد بن محمد «**أبي يعلى**» بن الحسين بن محمد، أبو الحسين بن الفراء، المعروف بـ«**ابن أبي يعلى**». مؤرخ، من فقهاء الحنابلة. ولد ببغداد سنة ٤٥١هـ، ومات فيها قتيلًا سنة ٥٢٦هـ. **ينظر:** الوافي بالوفيات للصفدي ١٥٩/١.

(٣) عبد الرحمن بن محمد العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين. مؤرخ باحث. من أهل القدس. كان قاضي قضاة القدس، ومولده ووفاته فيها. ولد سنة ٨٦٠هـ، وتوفي سنة ٩٢٨هـ. **ينظر:** الأعلام للزركلي ٣٣٠/٣.

(٤) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١٦٢/١، والمنهج الأحمد للعليمي ١٧٥/١.

(٥) أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر، الخلّال البغدادي. من كبار الحنابلة. توفي سنة ٣١١هـ. **ينظر:** طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١٢/١، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٧/٣.

(٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥٧/٩، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١٧٢/٤، وتهذيب ابن عساكر ٢٤٤/٦.

(٧) إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله البغدادي الحربي، أبو إسحاق. من أعلام المحدثين. أصله من مرو، ولد سنة ١٩٨هـ، واشتهر وتوفي ببغداد سنة ٢٨٥هـ. **ينظر:** صفة الصفوة لابن الجوزي ٢٢٨/٢.

(٨) البداية والنهاية لابن كثير ٥٥/١١، وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ٢٩٣/٢، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٥٩١/٣، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١٧٢/٤، ومختصر المنذري ٥/١، ومعالم السنن للخطابي ١٢/١، والمنهج الأحمد للعليمي ١٧٥/١.

(٩) محمد بن حِبَّان بن أحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم البُسْتِي. المؤرخ العلامة الجغرافي المحدث. ولد في بُسْت من بلاد سجستان وتنقل في الأقطار. توفي سنة ٣٥٤هـ. **ينظر:** تذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٥/٣.

(١٠) تهذيب التهذيب لابن حجر ١٧٢/٤، وخلاصة تذهيب التهذيب للخزرجي ص ١٢٧.

(١١) محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى، ابن مَنْدَهْ، أبو عبد الله العبدي الأصْبَهَاني. من كبار حفاظ الحديث. ولد سنة ٣١٠هـ، وتوفي سنة ٣٩٥هـ. **ينظر:** طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١٦٧/١.

(١٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ١٧٢/٤.

٦- وقال ابن ماكولا[٣]: «هو إمام مشهور»[٤].

٧- وقال الذهبي[٥]: «وبلغنا أنَّ أبا داود كان من العلماء حتى إن بعض الأئمة قال: كان أبو داود يشبه أحمد بن حنبل في هديه ودله وسمته»[٦].

أساتذته:

إن الحديث عن أساتذته لا يتسع له صدر هذا المقال؛ لأنَّ عددهم كبير، وقد ذكر ابن حجر أن شيوخه في «السنن» وغيرها من كتبه نحو من ٣٠٠ نفس[٧].

وقد ألف العلماء في شيوخه المؤلفات، وكل كتب الرجال التي تحدثت عن رجال الكتب الستة تحدثت عن أساتذة أبي داود. **وكان منهم:**

أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعثمان بن أبي شيبة[٨]، وإسحاق بن راهويه[٩]، وأبو الوليد الطيالسي[١٠]، وهناد بن السري[١١]، ومسدد بن مسرهد[١٢]، ومحمد بن بشار[١٣]، وسعيد ابن منصور.

---

(١) محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نُعيم النيسابوري، الشهير بـ«**الحاكم**»، ويعرف بـ«**ابن البيع**»، أبو عبد الله. مولده في نيسابور سنة ٣٢١هـ، ووفاته فيها أيضًا سنة ٤٠٥هـ. **ينظر:** تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤٧٣/٥.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ١٧٢/٤.

(٣) علي بن هبة الله بن علي بن جعفر، أبو نصر بن ماكولا الأمير، من ولد أبي دُلَف العِجْلي. مؤرخ حافظ أديب. ولد سنة ٤٢١هـ، ومات مقتولًا سنة ٤٧٥هـ. **ينظر:** المنتظم لابن الجوزي ٥/٩.

(٤) تهذيب ابن عساكر ٢٤٤/٦.

(٥) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي الشافعي، شمس الدين، أبو عبد الله. حافظ، مؤرخ، محقق. مولده في دمشق سنة ٦٧٣هـ، ووفاته فيها أيضًا سنة ٧٤٨هـ. **ينظر:** فوات الوفيات لابن شاكر ١٨٣/١.

(٦) تذكرة الحفاظ للذهبي ٥٩٢/٣.

(٧) تهذيب التهذيب لابن حجر ١٧٢/٤.

(٨) عثمان بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العَبْسِي، أبو الحسن. من حفاظ الحديث. رحل من الكوفة إلى مكة والري وبغداد. كان ثقة مأمونًا. ولد سنة ١٥٦هـ، وتوفي سنة ٢٣٩هـ. **ينظر:** تذكرة الحفاظ للذهبي ٢٨/١.

(٩) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي، أبو يعقوب، المعروف بـ«**ابن رَاهَوَيْه**». عالم خراسان في عصره. ولد سنة ١٦١هـ، وتوفي بنيسابور سنة ٢٣٨هـ. **ينظر:** ميزان الاعتدال للذهبي ٨٥/١.

(١٠) سليمان بن داود بن الجارود مولى قريش، أبو داود الطيالسي البصري. فارسي الأصل. ولد سنة ١٣٣هـ. سكن البصرة وتوفي بها سنة ٢٠٤هـ. **ينظر:** اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ٩٦/١.

(١١) هَنَّاد بن السري بن مصعب التميمي الدارمي. محدث، زاهد، من حفاظ الحديث. ولد سنة ١٥٢هـ. يقال له «**راهب الكوفة**» ما تزوج ولا تَسَرَّى. توفي سنة ٢٤٣هـ. **ينظر:** تذكرة الحفاظ للذهبي ٨٢/١.

(١٢) مُسَدَّد بن مُسَرْهَد بن مُسَرْبَل الأسدي البصري. محدث حافظ. هو أول من صنف «المسند» بالبصرة. توفي سنة ٢٢٨هـ. **ينظر:** طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٣٤١/١-٣٤٥، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٨/١.

(١٣) محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري، أبو بكر المعروف بـ«**بُنْدَار**». من حفاظ الحديث الثقات. لم يخرج من البصرة أكثر عمره بِرًّا بأمه. ولد سنة ١٦٧هـ، وتوفي سنة ٢٥٢هـ. **ينظر:** ميزان الاعتدال للذهبي ٣٠/٣.

وليس غريبًا أن يكون عدد من أساتذته عمالقة علماء أفذاذًا؛ لأن طبيعة العصر الذي كان فيه أبو داود تقتضي أن يكون هناك نماذج من هذا النوع. وكثرة الأساتذة أمر معروف معهود في تاريخنا الفكري.

وينبغي أن نخص واحدًا من أساتذته بإشارة لا بدَّ منها وهو «**الإمام أحمد بن حنبل**»، فقد تكرر ذكره كثيرًا في أخبار أبي داود، وقد اتصل به ورافقه، وعَرَض عليه «سننه» فاستجادها[1]، وكان يسأله أبو داود كثيرًا عن أمور الدين وشئون الحديث، وقد وقد بلغ من اهتمام أبي داود بأجوبة

---

(١) النكت على ابن الصلاح للزركشي ١٩١/١.

شيخه أحمد أنْ ألّف كتابين جمع فيه الأسئلة التي ألقيت على الإمام أحمد وأجوبته عليها. وقد طبع هذا الكتاب بعنوان «**مسائل أحمد**».

تلاميذه:

روى عنه خلقٌ كثير من العلماء الأئمة؛ نذكر المشهورين منهم، من أمثال الإمام أحمد بن حنبل الذي روى عنه حديثًا واحدًا كان أبو داود يعتزُّ بذلك جدًّا[١]. **ومنهم:**

الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي.

والإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي.

والإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال.

وأبو عَوَانة الأَسْفَرَاييني[٢].

وأبو بشر محمد بن أحمد الدُّولابي[٣].

وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي[٤].

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥٥/٩، وخلاصة تذهيب التهذيب للخزرجي ص ١٢٧.

(٢) يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري ثم الأَسْفَرَاييني، أبو عوانة. من أكابر حفاظ الحديث. أحد حفاظ الدنيا. توفي بأَسْفَرَايين سنة ٣١٦هـ. **ينظر:** وفيات الأعيان لابن خَلِّكَان ٣٠٨/١، ومرآة الجنان لليافعي ٢٦٩/١.

(٣) محمد بن أحمد بن حماد بن سعد بن مسلم، أبو بشر الأنصاري بالولاء، الرازي الدولابي الوراق. مؤرخ من حفاظ الحديث. ولد سنة ٢٢٤هـ، وتوفي سنة ٣١٠هـ. **ينظر:** لسان الميزان لابن حجر ٤١/٥.

(٤) محمد بن يحيى، أبو بكر الصُّولي، نسبته إلى جده «صُول تكين». وقد يعرف بـ«**الشِّطْرَنْجِي**»؛ فقد كان من أحسن الناس لعبًا بالشِّطْرَنج. توفي في البصرة سنة ٣٣٥هـ. **ينظر:** تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤٢٧/٣.

ومن تلامذته: رواة السنن، وسيأتي الكلام عليهم في المبحث التالي.

كتبه:

للإمام أبي داود مصنفاته كثيرة، أذكر منها:

- المراسيل[١]. - ومسائل الإمام أحمد[٢].
- والناسخ والمنسوخ[٣]. - وكتاب الزهد[٤].
- وكتاب القدر[٥]. - وكتاب البعث والنشور[٦].
- ودلائل النبوة[٧]. - وفضائل الأنصار[٨].
- ومسند مالك[٩]. - والدعاء[١٠].
- وأخبار الخوارج[١١]. - رسالته في وصف كتابه «السنن»[١٢].
- وإجاباته عن سؤالات أبي عبيد محمد بن علي بن عثمان الآجري[١٣].
- وأسئلة لأحمد بن حنبل عن الرواة والثقات والضعفاء[١٤].
- والمسائل التي حلف عليها الإمام أحمد[١٥].

وفاته:

توفي الإمام أبو داود سنة ٢٧٥هـ[١٦].

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) **ينظر:** تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ص ٢٨٨.
(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ١٧٠/٤.
(٣) هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي ٢٩٥/١.
(٤) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ٣٨٨/٣.
(٥) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ٣٨٩/٣.
(٦) تاريخ الأدب العربي ١٨٩/٣.
(٧) هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي ٣٩٠/١.
(٨) تهذيب التهذيب لابن حجر ٧/١.
(٩) تهذيب التهذيب لابن حجر ٧/١.
(١٠) تهذيب التهذيب لابن حجر ٦/١.
(١١) تهذيب التهذيب لابن حجر ٦/١.
(١٢) فهرس مخطوطات الظاهرية للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ص ١٦١.
(١٣) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ص ٤١٧.
(١٤) فهرس مخطوطات الظاهرية للألباني ص ١٦١.
(١٥) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ٣٨٨/٣.
(١٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥٥/٩.

المبحث الثالث

التعريف بسنن أبي داود وقيمته وأهميته

هذا الكتاب من أهم كتب السنة النبوية، وهو أحد الكتب الستة التي قبلتها الأمة بقبول حسن، وسأحاول في هذا المبحث دراسته والتعريف به.

اسم الكتاب:

الاسم المعروف به هو «السنن» ويبدو أنَّ المؤلف نفسه سمّاه بهذا الاسم، نستدلّ على ذلك من قوله في رسالته إلى أهل مكة:
«فإنكم سألتم أن أذكر لكم الأحاديث التي في كتاب «السنن» أهي أصح ما عرفت في الباب؟»[١].

وقوله في الرسالة المذكورة أيضًا: «وإن من الأحاديث في كتابي «السنن» ما ليس بمتصل، وهو مرسل...»[٢].

وكذلك فإنَّ العلماء على مرِّ العصور كانوا يدعون كتابه بـ«**السنن**».

ثناء العلماء على السنن:

تكاثرت كلمات الثناء والتبجيل، وتوافرت على سنن أبي داود؛ ولذلك فسأكتفي بإيراد بعض الكلمات لأشهر العلماء:

- قال أبو زكريا الساجي: «كتاب الله أصل الإسلام، وكتاب «السنن» لأبي داود عهد الإسلام»[٣].

- وقال ابن الأعرابي وأشار إلى النسخة وهي بين يديه: «لو أن رجلًا لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله ثم هذا الكتاب لم يحتج معهما إلى شيء من العلم بته»[٤].

- وقال الخطابي[٥] أيضًا: «كتاب السنن لأبي داود كتابٌ شريف لم يصنف في علم علم الدين كتاب مثله، وقد رزق القبول من الناس كافة فصار حكمًا بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم فلكل فيه وِرْدٌ ومنه شِرْبٌ، وعليه معول أهل العراق وأهل مصر وبلاد المغرب وكثير من مدن أقطار الأرض. فأما أهل خراسان فقد أولع أكثرهم بكتابي محمد بن إسماعيل ومسلم بن الحجاج، ومن نحا نحوهما في جمع الصحيح على شرطهما في السبك والانتقاد، إلا أن كتاب أبي داود أحسن رصفًا وأكثر فقهًا»[٦].

- وقال أبو حامد الغزالي[٧] عن «سنن أبي داود»: «إنها تكفي المجتهد في أحاديث الأحكام»[٨].

- وقال ابن القيم[١]: «لما كان كتاب «السنن» لأبي داود T من الإسلام بالموضع الذي خصه الله به، بحيث صار حكمًا بين أهل الإسلام، وفصلًا في موارد النزاع

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) رسالة أبي داود إلى أهل مكة في وصف سننه، تحقيق: محمد الصباغ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي/بيروت، ص ٢٢.
(٢) رسالة أبي داود في وصف سننه ص ٣٠.
(٣) تهذيب ابن عساكر ٢٤٤/٦.
(٤) معالم السنن للخطابي ١٢/١.
(٥) حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطَّابي البُسْتي. من أهل بُسْت من بلاد كابل. ولد سنة ٣١٩هـ. توفي في كابل سنة ٣٨٨هـ. **ينظر:** إنباه الرواة للقفطي ١٢٥/١، ووفيات الأعيان لابن خَلِّكان ١٦٦/١.
(٦) معالم السنن للخطابي ١٠/١، ١١.
(٧) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام، فيلسوف، متصوف، له نحو مائتي مصنف. ولد سنة ٤٥٠هـ، وتوفي سنة ٥٠٥هـ. **ينظر:** شذرات الذهب لابن العماد ١٠/٤.
(٨) قواعد في علوم الحديث للتهانوي ص ٣٢٢.